مشكل القرآن الكريم عند الإمام أبي الثناء الآلوسي في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" (سورة الرحمن أنموذجا)

The words of Quraan and their meanings. Al-Emam Alaloossy'sin Keeping off Enigmatic in the Great Holly Quraan in his book entitled with (Rouh AlMaany in interpretation of Holly Quraan and repeated-seven verses)

10.35781/1637-000-097-002

أ.د. محمد عبد الرحمن محمد عودات*
أ.د. خزامى محمد سلامه العيسى**

*أستاذ التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الملك فيصل
**أستاذة التفسير وعلوم القرآن في قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة، جامعة الملك فيصل

ملخص:

يتناول موضوع البحث نوعاً جليلاً من أنواع علوم القرآن الكريم المتعلقة أشد التعلق بألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، ألا وهو مشكل القرآن عند الإمام أبي الثناء الآلوسي (ت: 1270هـ) في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" (سورة الرحمن انموذجا)، وقد استهدف البحث بيان لما اشتملت عليه سورة الرحمن من نماذج المشكل المتنوعة.

وتعود أهمية الموضوع إلى المكانة العلمية التي تبوّأها الإمام الآلوسي بين كبار المفسرين، فهو إمام فذ في العلوم النقلية والعقلية، ومن يطالع تفسيره يعلم قوة مشاركته العلمية مع دقة تحقيقاته ونفيس تعليقاته، والقيمة العلمية التي اعتلاها تفسيره بين كتب التفسير، وأصالة دفع الشبه والإشكالات عن النظم القرآني المعجز، وقد قام البحث على المنهج الاستقرائي في تتبع نماذج مشكل القرآن الكريم في سورة الرحمن، والمنهج التحليلي في بيان النماذج المذكورة، والمنهج النقدي في التعليق على الأقوال التفسيرية المتعلقة بدفع الإشكالات عن الآيات القرآنية في سورة الرحمن.

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، واسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه، وهيكلته، وأما التمهيد: فيشتمل على التعريف بالإمام الآلوسي، وبتفسيره "روح المعاني"، والتعريف بعلم مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي، وأما المبحث الأول: فخصصته لبيان أسباب مشكل القرآن الكريم، وأنواعه عند الإمام الآلوسي، وطريقة المؤلف في إيراد المشكل ودفعه، وأما المبحث الثاني: فخصصته لبيان نماذج من مشكل القرآن الكريم في سورة الرحمن عند الإمام الآلوسي.

ومن أبرز النتائج التي يتوقع أن يصل إليها البحث: الكشف عن اهتمام الإمام الآلوسي في خدمة علم مشكل القرآن الكريم، وتسجيل الإضافة العلمية التي أبرزها في هذا الصدد، وبيان انواع المشكل التي

ISSN : 2410-1818

اشتملت عليها سورة الرحمن، وأن ذكر قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } الرحمن: ١٣في السورة إحدى وثلاثين مرة ليس من باب (التكرار) بل من باب (الترديد) كما جزم به الإمام السيوطي في الإتقان، والتمثيل على وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم المعتبرة المقررة عند الإمام الآلوسي في تفسيره، وهو "سلامة القرآن الكريم من التناقض والاختلاف" مصداقا لقوله سبحانه: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} [النساء: ٨٢].

الكلمات المفتاحية: "مشكل القرآن الكريم، الإمام الآلوسي، روح المعاني، سورة الرحمن".

Abstract:

the current research studies one of the greatest subject in the Holly Quraan sciences which is related to the words of Quraan and their meanings. The researcher tries to follow Al-Emam Alaloossy's efforts (died in **1270** hijri) in Keeping off Enigmatic in the Great Holly Quraan in his book entitled with (Rouh AlMaany in interpretation of Holly Quraan and repeated-seven verses) (Sorat Al-Rahman as a sample).The research aimed to explain the various models of the words of Quran and their meanings in (Surat Al-Rahman).

The reason behind the importance of the current subject is the Imam Al-Alossy's rank among scholars and Qurran interpretors, since he was a great scholer in transmitted and mental sciences and he who studied his interpretation of Qurran will know his perfect scientific participation enclosed with his precised investigations, explanations and the scientific value of his interpretation of the holly Qurran among other interpretors and his way in expelling questionable about the composing of the miraculous holly Qurran.The research was based on the inductive method,analytical method,and the critical method.

The plan of the current research is divided into introduction followed by two chapters.

The introduction shows the importance of the researched subject , the reason behind and the previous studies, the objectives, approach and the plan of the research. The preface includes the definition of Al-Emam Al-Aloossy and his interpretation (Rouh Al-Maany) and the definition of the holly Qurran enigmatic science in the Emam's point of view.

The first chapter contains the reasons behind Holly Quraan enigmatic science , it's types and the researcher's method in mentioning enigmatic and how he expelled it.

The second chapter clarifies samples enigmatic in holly Qurran in

ISSN : 2410-1818

(sorat Al-Rahman) according to the Emam.

One of the great expected results of this study is to show the great interest of the Emam Al-Aloosy in serving enigmatic science of the holly Qurran, registering the scientific value gained in this art and clarifying the types of enigmatic found in (sorat Al-Rahman) and mentioning a one-verses for **31** time is not a kind of repetition but a kind if trilling as said by The Emam Al-Soyoty in his book entitled with (Al-Etqan) which shows the meraculous aspect of the Holly Quraan that has neither difference nor contradictory.

Keywords:(Words of the Holy Qur'an and their meanings, Al-Imam Al-aloossy, Rouh Al Maany, Surat Al-Rahman).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن علوم القرآن الكريم قد حازت أسباب الشرف والرفعة من جهات عديدة أولها: الموضوع فموضوعها أجل الكلام وهو الكلام الإلهي، وثانيها: المعلوم فمعلومها مراد الله تعالى من كلامه المجيد، وثالثها: الغاية منه، وهي أشرف الغايات من تحقيق السعادة الأبدية، ورابعها: شدة الحاجة إليها من ابتناء العلوم عليها.

فالقرآن الكريم المعجزة الباهرة والحجة الظاهرة، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكلما جد زمن وظهر جيل برزت دلائله ومعانيه المتجددة، وادخر الله لكل أمة من فوائده وفرائده ما ادخر، فقد دأب الراسخون في العلم على الاشتغال به تعلما وتعليما وتدبراً، فأفنوا أعمارهم في مدارسة مكنوناته، والكشف عن حكمه وإعجازه، وإظهار حقائقه، وبيان ما أشكل منه على بعض أفهام العباد، وبذلوا في ذلك نفائس الأنفاس في سبيل تحقيق هذه الغاية الجليلة.

وقد نال علم مشكل القرآن اهتمام المفسرين وعلماء علوم القرآن، وأخذوا تفسيره والتأليف فيه على امتداد القرون، واختلفت اتجاهاتهم ومناهجهم في وقت ظهر فيه الطاعنون والمشككون، فأظهر الله له من يدافع عنه من علماء هذه الأمة، فأزالوا الشكوك، وأبطلوا المطاعن، وبينوا الحق وأوضحوه، وليس الأمر محصورا في ذلك، بل إن اختلاف أفهام الناس ومداركهم، وتباعد الزمان وضعف اللغة، واستشكال كثير من النصوص على بعض من يقرأ القرآن، فزادت الحاجة إلى بيان المشكل وإيضاحه ودفع اللبس عنه.

ISSN : 2410-1818

ومن العلماء الذين برعوا في هذا العلم وجدوا فيه، الإمام المفسر السيد أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي (ت: 1270هـ) في كتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، فأجاد في دفع الإشكال كل الإجادة، واتبع منهجا علميا، استند فيه على عدة علوم برع فيها، منها ما يتعلق باللغة، ومنها ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم، ومنها ما يتعلق بأصول الفقه، لذلك جاء هذا البحث وعنوانه: مشكل القرآن الكريم عند الإمام أبي الثناء الآلوسي (ت: 1270هـ) في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" (سورة الرحمن أنموذجا).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية موضوع البحث في الأمور الآتية:

1- المكانة العلمية التي تبوأها الإمام الآلوسي بين المفسرين، فهو إمام فذ في العلوم النقلية والعقلية.
2- القيمة العلمية الكبيرة التي اعتلاها تفسير "روح المعاني" بين كتب التفسير.
3- أصالة دفع الشبه والإشكالات عن النظم القرآني المعجز.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ما يأتي:

4- الإفادة من تحقيقات الإمام الآلوسي في دفع الإشكالات عن النظم القرآني المعجز.
5- تجلية دفع الإشكالات المتوهمة في سورة الرحمن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري في المكتبات والمراكز العلمية والمواقع الالكترونية المختصة بالدراسات القرآنية، لم نجد دراسة علمية تناولت موضوع: مشكل القرآن الكريم عند الإمام أبي الثناء الآلوسي (ت: 1270هـ) في كتابه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (سورة الرحمن أنموذجا)، مع أن الإمام أبا الثناء الآلوسي، وتفسيره، قد حظي بعشرات الدراسات العلمية، وقد قاربت التسعين دراسة، ومن هذه الدراسات ما يأتي:

1- الآلوسي مفسراً، محسن عبد الحميد. رسالة دكتوراه، مطبعة المعارف، بغداد، ط1، 1968م، ويفرق هذا البحث عن هذه الرسالة العلمية القيمة أنه مخصص لبيان مشكل القرآن الكريم ودفعه في سورة الرحمن، والرسالة قامت على بيان الشخصية التفسيرية للإمام الآلوسي رحمه الله في كتابه روح المعاني.

ISSN : 2410-1818

2- منهج الآلوسي في تفسير روح المعاني في تفسيره القرآن العظيم والسبع المثاني مع مقارنته بما كتبه القاسمي في تفسيره محاسن التأويل، إيمان محمد نصر أحمد ، كلية دار العلوم: القاهرة، 1417هـ، والفرق بين البحث وهذه الرسالة العلمية القيمة، أن البحث قائم على تتبع نماذج مشكل القرآن الكريم ودفعه في سورة الرحمن، والرسالة متخصصة في بيان منهج الإمام الآلوسي رحمه الله في كتابه روح المعاني، مع المقارنة بمنهج القاسمي رحمه الله في كتابه محاسن التأويل.

3- صور الإيجاز في القرآن الكريم كما يراها الألوسي، منال محمد محمد بسيوني، جامعة الأزهر، 1414هـ، والفرق بين هذا البحث وهذه الرسالة العلمية القيمة، أن البحث بقوم على تتبع نماذج مشكل القرآن الكريم ودفعه في سورة الرحمن، والرسالة قائمة على بيان معلم من معالم البلاغة القرآنية، وهي أسلوب الإيجاز كما قرره الإمام الآلوسي في كتابه روح المعاني.

4- الاتجاه البياني (علم المعاني) في تفسير الآلوسي من خلال سورة البقرة، جهاد محمد فيصل النصيرات، جامعة اليرموك، 1425هـ، والفرق بين هذا البحث وهذه الرسالة العلمية القيمة، أن البحث مختص ببيان نماذج مشكل القرآن الكريم ودفعه، والرسالة مختصة ببيان علم البلاغة العربية في مجال (علم المعاني) عند الإمام الآلوسي في كتابه روح المعاني، دراسة تطبيقية على سورة البقرة.

5- تعقبات الالوسى لأبي حيان في روح المعانى، مشيرة فرج الله مفيد ، جامعة القاهرة، 1429هـ، والفرق بين هذا البحث، وهذه الرسالة العلمية القيمة، أن البحث مختص ببيان علم مشكل القرآن الكريم ودفعه في سورة الرحمن، وهذه الرسالة مختصة ببيان تعقبات الإمام الآلوسي رحمه الله في كتابه روح المعاني على الإمام أبي حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط في التفسير.

أهداف البحث:

يهدف البحث للتوصل إلى الأمور الآتية:

1- جمع ودراسة نماذج مشكل القرآن الكريم التي ناقشها الإمام الآلوسي في تفسيره لسورة الرحمن.

2- بيان الأصول والقواعد العلمية التي اعتمد عليها الإمام الآلوسي في دفع الإشكالات الواردة في سورة الرحمن.

3- الوقوف على الموارد التي أفاد منها الإمام الآلوسي في علم مشكل القرآن الكريم.

ISSN : 2410-1818

منهج البحث:

اعتمد البحث: المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

هيكلة البحث:

تكون البحث من: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وهي كما يأتي:

- المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، ومنهجه، وهيكلته.
- التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث ويشتمل على:

أولًا: التعريف بالإمام أبي الثناء الآلوسي.

ثانيًا: التعريف بكتابه: "روح المعاني قي تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

ثالثا: التعريف بمشكل القرآن الكريم.

- المبحث الأول: منهج الإمام أبي الثناء الآلوسي في مشكل القرآن الكريم (دراسة نظرية).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

المطلب الثاني: أنواع مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

المطلب الثالث: طريقة الإمام الآلوسي في إيراد الإشكال ودفعه.

- المبحث الثاني: مشكل القرآن الكريم عند الإمام ابي الثناء الآلوسي في تفسيره لسورة الرحمن (دراسة تطبيقية).

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الإشكال في تقديم تعليم القرآن الكريم على خلق الإنسان وبيانه.

المطلب الثاني: الإشكال في إثبات معنى السجود للنجم والشجر وبيانه.

المطلب الثالث: الإشكال في إثبات خلق الإنسان من صلصال كالفخار وبيانه.

المطلب الرابع: الإشكال في ذكر قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إحدى وثلاثين مرة في السورة وبيانه.

المطلب الخامس: الإشكال في تثنية المشرقين والمغربين في السورة وبيانه.

المطلب السادس: الإشكال في إسناد الفناء لكل شيء، وإسناد البقاء لوجه الله الكريم وبيانه.

المطلب السابع: الإشكال في نسبة الفراغ لله سبحانه وتعالى وبيانه.

المطلب الثامن: الإشكال في نفي السؤال يوم القيامة للإنس والجن عما اقترفوه وبيانه.

- الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، وأهم التوصيات.

ISSN : 2410-1818

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث

أولًا: التعريف بالإمام أبي الثناء الآلوسي.

مما يميز الكتابة عن ترجمة الإمام ابي الثناء الآلوسي انه كان يتحدث عن حياته في أطوارها المختلفة، يظهر ذلك في بيان ترجمته إن شاء الله تعالى.

اسمه ومولده ونشأته ونسبه:

هو أبو الثناء، شهاب الدين، محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي الشافعي الحنفي البغدادي، ولد في الكرخ، وذلك سنة سبع عشرة بعد المائتين والألف من الهجرة الموافق في الميلادي سنة ألف وثمانمائة واثنتين (1217هـ -1802م)[1].

ثم أقبل على التنزيل الحكيم حفظاً وهو في صغره، شأنه في ذلك شأن الصالحين من السلف، ثم شرع بعد حفظ القرآن الكريم بحفظ المتون، وكان أول تلك المتون المقدمة الآجُرُّومية، ثم ألفية ابن مالك، ثم قرأ على شيخه الملا حسين الجبوري الاختصار في فقه الشافعية، كل ذلك قبل أن يبلغ من العمر سبع سنين، قال رحمه الله تعالى: "ثم إني لم أزل أقرأ عنده "عند والده" أحسو دره وشهده، حتى استوفيت الغرض من علم العربية، وحصلت طرفاً جليلا من فقهي الحنفية والشافعية، وأحطت خُبْراً ببعض الرسائل المنطقية، والكتب الشريفة الحديثية، ولما بلغت من العمر عشر سنين أذن لي بالقراءة عند غيره، ولم يُرهقني عُسْرا"[2].

""كان الآلوسي شيخ العلماء في العراق، سلفي الاعتقاد، مجتهداً، نادرةً من نوادر الأيام، كان عالماً باختلاف المذاهب، مطلعاً على الملل والنحل، شافعي المذهب"[3]، إلا أنه تحول إلى المذهب الحنفي كما صرح رحمه الله تعالى بذلك في مقدمة تفسيره[4].

ينتسب الآلوسي إلى أسرة ذات دين وشرف "الآلوسية"، جاء في أعلام العراق" ذات المجد الشامخ، والشرف الباذخ، والعز الأقعس[5]، والخيَمْ الأنفس، والمجد العريق، والفضل الأثْلد العتيق ... ذلك بفضل نبوغ أبنائها، وسيرهم على سنن العلم، وسعيهم عند انتشار المطابع في نشر آثارهم المخبرة،

(1) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، (5/1).
(2) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، (6/1)
(3) ينظر كلام محقق كتاب روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (3/1).
(4) ينظر روح المعاني، (3/1-4).
(5) الأقعس: الثابت ومنه العزة القعساء، لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، مادة "قعس"، (179/6)

ISSN : 2410-1818

وبث ثمرات قرائحهم الناضجة"[1].

أما والده فهو السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي المتوفى سنة "1246هـ" عرف بالتقوى والعلم، فدرس سنوات عديدة في أعظم مدارس بغداد، قال العلامة الآلوسي يحكي عن والده: "وكانت الطلبة تتبرك بالقراءة عليه، وقد حج قبل أن يتزوج ثلاث مرات، وينتهي نسبه الزكي إلى الريحانتين، من جهة أمه إلى الحسن، ومن جهة أبيه إلى الحسين[2].

قال متكلما عن شمائل والده التي كانت ذات أثر على أولاده، ومنهم ولده المفسر أبي الثناء: "وكان رحمه الله ترشح بالصلاح جلدته، وتشرح الصدورَ رؤيته، ما رأته عيون الأسحار إلا قائماً، وما أبصرته مواسم الأبرار إلا صائماً، وما ابتسم ثغر فجر تحت أذيال دجاه إلا وجدته يبكي خشيةً بين يدي مولاه"[3].

وأما والدته فاسمها فاطمة، كانت امرأةً صالحة، توفيت وهو صغير يقرأ القرآن الكريم، وكان أبو الثناء أحبَ أولادها إليها، وهي بنت العالم المعروف حسين ابن الشيخ علي العشاري صاحب المؤلفات الجليلة، والتعليقات اللطيفة، المتوفى سنة "1200هـ - 1785م"[4]

و"كان للألوسي من الأخوة عبد الرحمن الذي أخذ العلم عن أخيه "أبي الثناء"، وكان عالماً بالمنقول، وعبد الحميد وقد فقد بصره، وكان عالماً شاعراً، ودرس على أخيه أبي الثناء وغيره[5].

من العوامل المؤثرة في انضاج شخصية هذا الإمام، تعدد مشارب ثقافته ومواردها من جهة الشيوخ أولاً، ومن جهة مجالات العلوم والمعارف ثانياً، وقد أعانه على الإفادة من هذه الميزات العظيمة ما وهبه مولاه من حب للعلم واجتهاد وصبر على الطلب، كما ذكر الآلوسي ذلك في مقدمة تفسيره.

أشهر شيوخه:

1. الملا حسين الجبوري، درس عليه القرآن دراسة جيدة، وكان رجلاً تقياً صالحا.
2. والده السيد عبد الله أفندي، درس عليه العربية، وفقهي الشافعية، والحنفية وغيرها.
3. السيد علي ابن السيد أحمد، وكان ابن عمه، قرأ عليه شرح القوشجي للرسالة الوضعية العضدية،

(1) أعلام العراق، محمد بهجة الأثري, (8/1).
(2) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، (21/1- 22).
(3) شجرة الأنوار، الآلوسي، (13/1).
(4) المسك الأذفر، الآلوسي, (30/1-40).
(5) المصدر السابق، (3/1-40).

ISSN : 2410-1818

فوقف على مضمراتها وإشاراتها الخفية، كما قرأ عليه حواشيها.

4. عبد العزيز أفندي شواف، وكان علامة فاضلاً شهيراً بعلم العربية، حتى سمي "بسيبويه الثاني".
5. علاء الدين علي أفندي الموصلي، وقد حبس الآلوسي نفسه عليه، أربع عشرة سنة، فأخذ عنه نقلي العلوم وعقليها، قال الآلوسي: "ولم أزل أقرأ عنده، واستنشق شيحه ورنده، إلى أن تخرجت به وتأدبت بأدبه"[1]، وكانت آخر اجازات الآلوسي العلمية على يدي الشيخ علاء الدين الموصلي، وعمر الآلوسي وقتئذٍ احدى وعشرون سنة، وبعد هذا حلت للألوسي أعلى الرتب العلمية، رتبة "تدريس الأستانة" من السلطان، ثم نصب مفتياً للحنفية، وبعد تغير الوزير قطعت الصلات عن الآلوسي بسبب سعي الحاسدين للوزير الجديد.
6. ضياء الدين الشيخ خالد النقشبندي، كان عالماً كبيراً، قرأ عليه الآلوسي مسائل الصفات، وأخذ عنه التصوف، وشغف به حتى قال عنه: "هو صاحب الأحوال الباهرة، والكرامات الظاهرة، والأنفاس الطاهرة، الذي تواتر حديثُ جلالته، وأجمع المسلمون على ولايته"[2].
7. الشيخ علي السويدي، كان سلفي العقيدة، عالماً بالسنة، وقد أجاز الآلوسي بجميع اجازاته[3]، وغيرهم كثير.

رحلاته:

سجل الآلوسي عدداً من أسفاره ورحلاته في بعض أسفاره، فألف "نشوة الشمول في السفر الى إسلامبول" كما سجل عودته منها الى مدينة السلام بكتاب سماه "نشوة المدام في العود الى مدينة السلام"، وكتابه "غرائب الاغتراب ونزهة الألباب"، الذي ترجم فيه لنفسه، وبعض شيوخه، وعرض فيه لمجمل ما حصل له في الرحلتين.

قال: "أحببت أن أفرد كتاباً أجمع فيه مجمل ما كان ذهاباً وإياباً، وربما أحل في رحابه مشكلاً، وأفصل في بعض أبوابه مجملاً، وأستوفي حسب الإمكان ما كان لي في الإقامة، معرضاً عن أشياء لا يمكنني ذكرها الى يوم القيامة، مترجماً لبعض الأجلة، مطلعاً في سمائه شموساً، وبدوراً، وأهلة، مبتدئاً بترجمة نفسي مع أني أحقر أبناء جنسي، بل أهون من تبنة في لبنة، ومن قلامة في قامة، ومن ذرة بجانب دُرّة، ولكن قد تتقدم الخدم بين يدي السادة، وتؤدى النافلة قبل فرض العبادة، ومكان رَقْم الآحاد قبل مكان رقم عشرات الأعداد"[4].

(1) غرائب الاغتراب، (1/24-25).
(2) غرائب الاغتراب، (1/17).
(3) المصدر السابق، (1/15-17).
(4) المصدر السابق، (1/3-4).

ISSN : 2410-1818

سعى الحاسدون بالنميمة إلى الوزير الجديد محمد نجيب، فأساء معاملة الآلوسي الأمر الذي أدى إلى حبس الآلوسي نفسه في بيته، فضاقت عليه نفسه ثم حزم أمره بالسفر إلى القسطنطينية.

وفي أثناء عودته الى مدينة السلام أصابته الحمى بحرها قال: "وفي أثناء الطريق جعلت تعركني الحمى عرك الأديم، وتحركني -ولكن في مهد السقم- كما تحرك الأم في المهد الفطيم، فدخلت بغداد أنا والحمى في جلود لا دباغ لها"[(1)].

وفي يوم السبت في الخامس والعشرين من ذي القَعدة سنة "1270هـ - 1853م"، طويت صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي المشرقة، فعرجت روح أبي الثناء إلى باريها، "فعزَّ على الناس موته، وأسفوا عليه أسفاً عظيماً، ورثاه الشعراء، ودفن في مقبرة معروف الكرخي مع أهله، تاركاً خلفه أنجالاً كراماً هم: عبد الله، وعبد الباقي، ونعمان، ومحمد حامد، وشاكر"[(2)].

جهوده ومؤلفاته:

1- ألف في علم التفسير كتابه: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، وهو أعظم مؤلفاته شأناً، وأكثرها شهرةً.
2- ألف في اللغة والأدب (حواشي شرح القطر) لابن هشام، جمع فيها ما وعته أذنه من تقارير شيوخه، وعمره ثلاث عشرة سنة، ولم يتمه، وإنما أتمه ابنه نعمان خير الدين، وسماها (الطارف والتالد في إكمال حاشية الوالد) وهو كتاب مستقل عن حاشية والده.
3- (كشف الطُرَّة عن الغُرَّة)، شرح ونقد لدُرة الغوّاص في أوهام الخواص، لأبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت:516هـ)، الذي شرحه الشهاب الخفاجي المصري (ت: 1069هـ).
4- ألف في البحث والمناظرة (البيان شرح البرهان في إطاعة السلطان)، أصل الكتاب "البرهان" للشيخ عبد الوهاب أفندي ياسين جي زاده، كلفه الوزير علي رضا باشا بشرحه.
5- (الأجوبة العراقية على الأسئلة اللاهورية)، جواب عن سؤال جاء من الهند بخصوص جماعة ظهرت هناك تسب الصحابة، وبخاصة من خاض في الفتنة، أهم من أهل السنة أم لا ؟.
6- (الأجوبة العراقية للأسئلة الإيرانية)، صنفه في الرد على ثلاثين سؤالاً من أسئلة الإمامية، في التفسير، واللغة، والفقه، والعقائد، والكلام، والمنطق، والهيئة وغير ذلك.
7- (النفحات القدسية في الرد على الإمامية)، صنفه رداً على الشيعة في عقائدهم، واثبات وجه الحق في ذلك على مذهب أهل السنة والجماعة، وتوفي الآلوسي ولم يكمله.

(1) المصدر السابق، (1/24-25).
(2) انظر: أعلام العراق، (1/30).

ISSN : 2410-1818

8- (نهج السلامة الى مباحث الإمامة)، وهذا آخر مؤلفات الآلوسي ﷺ وتوفي الآلوسي ولم يكمله.
9- ألف في التراجم (شهي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحِكَم)، ترجم لشيخه شيخ الإسلام السيد أحمد عارف حكمت وشيوخه، وقد لازمه الآلوسي في إسلامبول.
10- ألف في الرِّحلات (غرائب الاغتراب ونزهة الألباب)، وهذا الكتاب جمع فيه العلامة الآلوسي بين أخبار الكتابين المشتملين على ما جرى له في الرحلة من بغداد إلى إسلامبول ذهابا وإيابا.

11- (نشوة الشمول في السفر الى إسلامبول)، كتاب أدبي ممتع، تحدث فيه الآلوسي عن رحلته إلى إسلامبول، وما جرى له في الطريق إلى أن وصل إليها.
12- (نشوة المُدام في العود الى دار السلام)، كتاب سطر فيه الآلوسي رحلة الإياب من إسلامبول إلى بغداد مدينة السلام.

ثانياً: التعريف بكتابه روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

يعد تفسير روح المعاني أكبر مؤلفات الآلوسي حجما، وأكثرها فائدة وشهرة، اسمه "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" قال الإمام الآلوسي: "وإني - ولله تعالى المنة - مذ ميطت عني التمائم، ونيطت على رأسي العمائم، لم أزل متطلباً لاستكشاف سره المكتوم، مترقباً لارتشاف رحيقه المختوم، طالما فرقتُ نومي لجمع شوارده، وفارقتُ قومي لوصال خرائده، فلو رأيتني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتاب من السهر، وأطالع -إن أعوز الشمع يوماً- على نور القمر، في كثير من ليالي الشهر، وأمثالي إذ ذاك يرفُلون في مَطارف اللهو، ويرقُلون في ميادين الزهو، ويؤثرون مسرَّات الأشباح، على لذات الأرواح، ويهبون نفائس الأوقات، لنهب خسائس الشهوات، وأنا مع حداثة سني، وضيق عطَني، لا تغرني حالهم، ولا تغيرني أفعالهم، كأنَّ لُبْنَى لُبَانَتي، ووصال سُعدى سعادتي، حتى وقفت على كثير من حقائقه، ووُفِّقت لحل وفيرٍ من دقائقه، وثقبت - والثناء لله تعالى- من دُرِّه بقلم فكري دُراً ثميناً، ولا بدْعَ فأنا من فضل الله الشهاب، وأبو الثناء"[1].

وقال الآلوسي متكلما عن بداية اشتغاله بتفسير القرآن الكريم، "وقبل أن يكمل سني عشرين جعلت أصدح به وأصدع، وشرعت أدفع كثيراً من إشكالات الإشكال، وأدفع وأتجاهر بما الهمنيه ربي مما لم أظفر به في كتاب من دقائق التفسير، وأعلق على ما أغلق مما لم تعلق به ظُفْر كل ذي ذهن خطير، ولست أنا أول مَنْ منَّ الله تعالى عليه بذلك، ولا آخر مَنْ سلك في هاتيك المسالك، فكم وكم للزمان ولد مثلي، وكم تفضل الفرد -عز شأنه- على كثير بأضعاف فضلي.

(1) روح المعاني، (1/10- 11).

ISSN : 2410-1818

إلا أن رياض هذه الأعصار عراها إعصار، وحياض تيك الأمصار اعتراها اعتصار، فصار العلم بالعيوق، والعلماء أعز من بيض الأَنوق، والفضل معلق بأجنحة النسور، وميت حي الأدب لا يرجى له نشور"[1].

وقد صدر الآلوسي رحمه الله تفسيره بمقدمة مقتصدة ثم أتبعها بسبع مقدمات في مبادىء علم التفسير وعلوم القرآن، وقد وصف هذه الفوائد السبعة قائلا: "يليق أن تكتب بسواد العيون على صفحات الخدود"[2].

وهذه الفوائد السبع هي:

الأولى: في معنى التفسير والتأويل.

الثانية: فيما يحتاجه المفسر، ومعنى التفسير بالرأي، وحكم كلام السادة الصوفية في القرآن.

الثالثة: في أسماء القرآن الكريم.

الرابعة: في تحقيق معنى أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

الخامسة: في المراد بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن.

السادسة: في جمع القرآن وترتيبه.

السابعة: في بيان وجه إعجاز القرآن[3].

وهذه الفوائد السبع تعد مفاتيح مهمة في علم التفسير وعلومه المساعدة. ويقع هذا التفسير في ثلاثين جزءاً، في ستة عشر مجلدا. والناظر المنصف في نتاج الأمة التفسيري لكتاب الله المجيد، ليجد أن مصنفاتِ القوم في ذلك المجال، قد تنوعت تنوع المناهج المختلفة، فمنها ما اندرج تحت التفسير بالمأثور، ومنها المنضوي تحت التفسير بالرأي، وقد اتخذ هذا الأخير أشكالاً عديدة: "البياني، النحوي، الفقهي"، والتفسير بالإشارة.

(1) روح المعاني، (10/1- 11).
(2) روح المعاني، (14/1).
(3) ينظر روح المعاني، (13/1- 58).

ISSN : 2410-1818

إن المطلع على ذلك النتاج الضخم كذلك، ليعلم أن كتاب علامة الرافدين الآلوسي "روح المعاني"، قد احتل مكانة عالية في المكتبة التفسيرية خاصة وفي المعارف الإسلامية عامة، على الرغم من تأخر زمان مؤلفه عن عصور التفسير المتقدمة، التي نشأ فيها ذلك العلم، واستوى على سوقه، وذلك لأنه جمع المناهج المختلفة، بشكل قوي وجلي وفعال في تفسيره، فكما تجد الإمام الآلوسي رحمه الله رأساً في المأثور، تراه جبلاً شامخاً في الرأي المحمود، وبحراً زاخراً في جمعه لمفردات تلك المناهج.

قال د. محمد رجب البيومي: "وأكاد أزعم أن دارس التفسير في روح المعاني يستغني به عما كتبه سابقوه لأن الرجل الكبير قد قرأ كل ما وقع تحت يديه من كتب هؤلاء، وأطال النظر في مضامينها، ووازن وقارن ورجح وعلل، ثم صاغ من خلاصتها الصحيحة -في رأيه- سبيكة خالصة من معدِن الذهب[1]، وبذلك شهد له المحقق الغماري[2].

ثالثا :التعريف بمشكل القرآن الكريم

المشكل لغة:

تدور مادة (ش ك ل) على معنى اللبس والالباس، فأشكل الأمر. التبس. وفلان يعمل على شاكلته، أي: طريقته وجهته، والمشكل اسم فاعل لغير الثلاثي (أشكل)، (يشكل)، وقد ابدل حرف المضارعة (الياء) ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر (الكاف)، فهو (مشكل)[3].

المشكل اصطلاحا:

ذكر الآلوسي المشكل في معرض بيانه عن التفسير بالرأي فقال: "أو يقال ذلك في المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله أو في الجزم بأن مراد الله تعالى كذا على القطع من غير دليل، وأما الحديث الثاني فله معنيان، الأول من قال في مشكل القرآن بما لا يعلم فهو متعرض لسخط الله تعالى"[4].

وقال في موطن آخر يبين فيه علاقة المشكل مع المتشابه : "وقيل: إنه لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز العقل عن التمييز بها سمي كل ما لا يهتدي العقل إليه متشابها وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه كما أن المشكل في الأصل ما دخل في إشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه[5].

(1) النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د.محمد رجب البيومي، (33/2).
(2) بدع التفاسير، عبد الله محمد صديق الغماري، ص 161. انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، (355/1- 356).
(3) ينظر مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (ش ك ل)، (204/3 - 205)
(4) روح المعاني، (7/1).
(5) المصدر السابق ، (79/2).

ISSN : 2410-1818

فالمُشْكِل في علوم القران هو ما أشكل معناه على السامع، ولم يصل إلى إدراكه إلا بدليلٍ آخر، فهو اسم لما يشتبه المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد منه إلا بدليل يتميز به من بين سائر الأشكال أي: أن المشكل كلام يدل على عدد من المعاني دلالة متساوية، أو متقاربة، ويكون المراد منها واحدا فقط، لكنه دخل في أشكاله وأمثاله من تلك المعاني المتعددة، حتى خفي بسبب هذا الدخول على السامع وصار تعيينه يحتاج إلى بحث واجتهاد وتأمل وقرائن.

وذكر الإمام ابو جعفر الطحاوي تعريفا لما أشكل في أحاديث رسول الله ﷺ فقال في كتابه مشكل الآثار: "وإني نظرت في الآثار المروية عنه ﷺ، بالأسانيد المقبولة، التي نقلها ذوو التثبت فيها والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها، والعلم بما فيها عن أكثر الناس، فمال قلبي إلى تأملها، وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها"[1].

والخلاصة من مجموع ما سبق يتبين أنَّ علماء التفسير وعلوم القرآن يطلقون المُشْكِل ويعنون به: الآيات التي يُوهِمُ ظاهرها التعارض فيما بينها، أو الآيات التي يُوهِمُ ظاهرها معارضة حديث نبوي، أو الآيات التي في معناها خفاء وغموض، لا يدرك إلا بدليل آخر، وربما أطلقوا المُشْكِل على الآيات أو القراءات التي خالفت قاعدة لغوية، من نحوٍ أو تصريف.

- **المبحث الأول: منهج الإمام أبي الثناء الآلوسي في مشكل القرآن (دراسة نظرية).**

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

المطلب الثاني: أنواع مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

المطلب الثالث: طريقة الإمام الآلوسي في إيراد الإشكال ودفعه.

المطلب الأول: أسباب مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

هناك أسباب عديدة توقع التوهم عند الناظر في القرآن الكريم، فينشأ عن ذلك الإشكال، وهذه الأسباب عشرة هي:

السبب الأول: اختلاف الموضوع في الآيات القرآنية الكريمة عند الآلوسي.

ليس هناك تعارض حقيقي من كل وجه في القرآن الكريم الكريم، لكن قد يظن القارئ للوهلة الأولى اتحاد الموضوع مع وجود النفي والإثبات، والامر على خلافه[2].

(1) بيان مشكل الآثار, الطحاوي، (1/1).

(2) قال الآلوسي: "وكذا لأمثاله مما يضيق عنه هذا المبحث، وأما الإختلاف المذكور فليس هو المنفي في قوله تعالى: (ولو كان من

ISSN : 2410-1818

ومثاله ما قاله الإمام الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى:{لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ} (البقرة: ٢٢٥) "اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره، ولغو اليمين عند الشافعي رضي الله تعالى عنه ما سبق له اللسان، وما في حكمه مما لم يقصد منه اليمين، كقول العرب: لا والله، لا بالله لمجرد التأكيد، وهو المروي عن عائشة، وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما في أكثر الروايات، والمعنى لا يؤاخذكم أصلا بما لا قصد لكم فيه من الأيمان:{وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} (البقرة: ٢٢٥).

أي:بما قصدتم من الأيمان وواطأت فيها قلوبكم ألسنتكم، ولا يعارض هذه الآية ما في المائدة:{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ} (المائدة: ٨٩) بناء على أن مقتضى هذه المؤاخذة بالغموس لأنها من كسب القلب، وتلك تقتضي عدمها لأن اللغو فيها خلاف المعقودة، وهي ما يحلف فيها على أمر في المستقبل أن يفعل ولا يفعل، لوقوعه في مقابلة قوله سبحانه{وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ}: فيتناول الغموس، وهو الحلف على أمر ماض متعمد الكذب فيه، ولغويته لعدم تحقق البر فيه الذي هو فائدة اليمين الشرعية، لأن الشافعي حمل بما عقدتم على كسب القلب من عقدت على كذا عزمت عليه، ولم يعكس لأن العقد مجمل يحتمل عقد القلب، ويحتمل ربط الشيء بالشيء، والكسب مفسر.

ومن القواعد حمل المجمل على المفسر، وإذا حمل عليه شمل الغموس، وكان اللغو ما لا قصد فيه لا خلاف المعقودة إذ لا معقودة فتتحد الآيتان في المؤاخذة على الغموس، وعدم المؤاخذة على اللغو إلا أنه إن كان للفعل المنفي عموم كان في الآيتين نفي المؤاخذة فيما لا قصد فيه بالعقوبة، والكفارة وإثبات المؤاخذة في الجملة بهما، أو بأحدهما فيما فيه قصد، وإن لم يكن له عموم حمل المؤاخذة المطلقة في هذه الآية على المؤاخذة المقيدة بالكفار في آية المائدة، بناء على اتحاد الحادثة والحكم وسوق الآية لبيان الكفارة فلا تكرار"[1].

وتحرير محل الإشكال أن آية البقرة نفت المؤاخذة مطلقا غن لغو اليمين، وأن آية المائدة أثبتت المؤاخذة في تعقيد الأيمان، وقد دفع الآلوسي الإشكال بمسلك الجمع.

عند غير الله لوجدوا فيه إختلافا كثيرا) النساء: 82 لأن المراد به أحد أمرين الأول: الإختلاف المناقض للبلاغة، والثاني: الإختلاف فيما أخبر عنه من قصص الماضين وسير الأولين، مع أمية من جاء به وعدم دراسته للعلوم ومطالعته للكتب، ولا شك أنه لم يوجد في القرآن شيء من هذه الإختلافات" روح المعاني، (30/1).

(1) روح المعاني، (127/2).

ISSN : 2410-1818

السبب الثاني: اختلاف الموضع (الزمان والمكان) للمراد من الآيات القرآنية الكريمة عند الإمام الآلوسي

إذا كان السبب الأول يدور على اختلاف الموضوع، فان السبب الثاني هذا يدور على اختلاف الموضع ومكانه، وإن اتحد موضوعه، وأمثلة هذا السبب كثيرة في القرآن الكريم، ومنه قول الإمام الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: **{وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}** الإسراء: 97 "واستظهر أبو حيان كون المراد مما ذكر حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم، فيرون النار، ويسمعون زفيرها، وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع، نعم قد يختم على أفواههم في البين، وقيل هو على المجاز على معنى أنهم لفرط الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات، أو على معنى أنهم لا يرون شيئا يسرهم، ولا يسمعون كذلك، ولا ينطقون بحجة كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون، ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه، وأخرج ذلك ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وروي أيضا عن الحسن، فنزل ما يقولونه ويسمعونه ويبصرونه منزلة العدم لعدم الانتفاع به، ولا يعكر عليه أن بعض الآيات يدل على سلب بعض القوى عنهم لاختلاف الأوقات، وقيل عميا عن النظر إلى ما جعل الله تعالى لأوليائه، بكما عن الكلام معه سبحانه، صما عما مدح الله تعالى به أولياءه، وقيل يحصل لهم ذلك حقيقة بعد قوله تعالى: **{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}** (المؤمنون: ١٠٨) وعلى هذا تكون الأحوال مقدرة"[1].

السبب الثالث: وقوع المخبر به على أحوال وأطوار شتى عند الألوسي.

ومثاله في القرآن الكريم ما قصه الله تعالى من خلق الإنسان، فذكر مرة انه تعالى خلقه من ماء، وثانية من تراب، وثالثة من طين، ورابعة من حمأ مسنون، وخامسه من صلصال كالفخار، قال الإمام الآلوسي رحمه الله: "وأمثال البعض الآخر إختلاف مقال لإختلاف الأحوال والمرجع إلى جوهر واحد، وهو التراب في خلق آدم مثلا، ومنه تدرجت تلك الأحوال وأي ضرر في ذلك"[2].

السبب الرابع: اختلاف جهتي الفعل في الآيات القرآنية الكريمة عند الألوسي.

ومثاله في القرآن الكريم من إثبات الهداية للنبي صلى الله عليه وسلم، ونفيها عنه، وإثبات فعل الرمي له صلى الله عليه وسلم يوم أحد، ونفيه عنه، قال الإمام الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** (الفاتحة: ٦) "الهداية دلالة بلطف لدلالة إشتقاقه ومادته عليه، ولذا أطلق على المشي برفق تهاد، وسميت الهداية لطفا، وقوله تعالى: **{مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}** (الصافات:

(1) روح المعاني، (176/15).
(2) روح المعاني، (30/1). انظر، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (54/2).

ISSN : 2410-1818

٢٣) وارد على الصحيح مورد التهكم على حد {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} (الانشقاق: ٢٤)، ويقال هداه لكذا، وإلى كذا، فتعديه باللام، وإلى إذا لم يكن فيه، وهداه كذا بدونهما محتمل للحالين حتى لا يجوز في {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت: ٦٩) لسب لنا أو إلى سبلنا إلا بإرادة الإرادة في جاهدوا، أو إرادة تحصيل المراتب العلية في سبلنا،ا ومن ثم جمعها، وقد ورد من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم وقد يقال المراد بيان الإستعمال الحقيقي وأما باب التجوز فواسع وهل يعتبر في الدلالة الإيصال أم لا؟

فيه اختلاف المتأخرين من أهل اللسان ففريق خصها بالدلالة الموصلة، وآخرون بالدلالة على ما يوصل، وقليل قال إن تعدت إلى المفعول الثاني بنفسها كانت بمعنى الإيصال، ولا تسند إلا إليه تعالى كما في الآية، وإن تعدت باللام أو إلى كانت بمعنى إرادة الطريق فكما تسند إليه سبحانه تسند إلى القرآن كقوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ..} (الإسراء: ٩)

وإلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى: ٥٢).

والكل من هذه الآراء غير خال عن خلل، أما الأول فيرد عليه قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (فصلت: ١٧)، والجواب بجواز وقوعهم في الضلال بالإرتداد بعد الوصول إلى الحق لا يساعده ما في التفاسير والتواريخ فإنها ناطقة بأن الجم الغفير من قوم ثمود لم يتصفوا بالإيمان قطعا، وما آمن من قومه إلا قليل، وقد بقوا على إيمانهم، ولم يرتدوا على أن صاحب الذوق يدرك من نفس الآية خلاف الفرض كما لا يخفى، وأما الثاني فيرد عليه قوله تعالى لحبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (القصص: ٥٦).

وما يقال إنه على حد قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأنفال: ١٧)، أو أن المعنى أنك لا تتمكن من إراءة الطريق لكل من أحببت بل إنما يمكنك إراءته لمن أردنا لا يخلو عن تكلف، وأما الثالث فإن كلام أهل اللغة لايساعده بل ينادي بما ينافيه، ومع ذلك فالقول بأن المتعدية لا تسند إلا إلى الله تعالى منتقض بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} (مريم: ٤٣)، وعن مؤمن آل فرعون:{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} (غافر: ٣٨)، ولهذا الخلل قال طائفة بالإشتراك، والبحث لغوي، ولا دخل للإعتزال فيه، وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمته"[1].

(1) روح المعاني، (91/1 – 92).

ISSN : 2410-1818

السبب الخامس: تعدد القراءات القرآنية المتواترة في الآية القرآنية الكريمة عند الألوسي.

أنبه هنا على أمر جليل يجب التيقظ له، وهو الاقتصار على القراءات التي ثبتت قرآنيتها، والبعد عن التمثيل بالقراءات الشاذة، حتى ننزه ساحة التنزيل المجيد عن كثرة الاختلافات.

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: "وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل، ومنها ما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة، إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد، وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم، ومنه سهولة حفظه وتيسير نقله على هذه الأمة، إذ هو على هذه الصفة من البلاغة"[1].

ومما يمثل به على هذا السبب قول الإمام الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: **{قَالُوا أَءِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ}** (يوسف: ٩٠) "استفهام تقرير، ولذلك أكد بإن واللام، لأن التأكيد يقتضي التحقق المنافي للاستفهام الحقيقي، ولعلهم قالوه استغرابا وتعجبا، وقرأ ابن كثير، وقتادة، وابن محيصن (إنك) بغير همزة استفهام، قال في البحر: والظاهر أنها مراده، ويبعد حمله على الخبر المحض، وقد قاله بعضهم لتعارض الاستفهام والخبر ان اتحد القائلون، وهو الظاهر، فان قدر أن بعضا استفهم، وبعضا أخبر، ونسب كل الى المجموع أمكن، وهو مع ذلك بعيد، و(أنت) في القراءتين مبتدأ، و يوسف خبره، والجملة في موضع الرفع خبر إن، ولا يجوز أن يكون (أنت) تأكيدا للضمير الذي هو اسم (إن) لحيلولة اللام"[2].

وهناك خمسة أسباب أخرى للوقوع في الإشكال، أكتفي بالإحالة على أمثلتها، طلبا للإيجاز، وخشية من الوقوع في التطويل، وهذه الأسباب هي:

السبب السادس: توهم تعارض الآية القرآنية الكريمة مع الحديث النبوي الشريف عند الألوسي[3].

السبب السابع: توهم استحالة معنى الآية القرآنية الكريمة عند الألوسي[4].

السبب الثامن: غرابة اللفظ في الآية أو الآيات القرآنية الكريمة عند الألوسي[5].

(1) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، (54/1).
(2) روح المعاني، (48/13).
(3) المصدر السابق، (199/6).
(4) المصدر السابق، (128/30).
(5) المصدر السابق، (187/7).

ISSN : 2410-1818

السبب التاسع: مخالفة المشهور من قواعد اللسان العربي في الآية القرآنية الكريمة عند الآلوسي[1].
السبب العاشر: خفاء معنى الآية أو الآيات القرآنية الكريمة عند الألوسي[2].

المطلب الثاني: أنواع مشكل القرآن الكريم عند الإمام الآلوسي.

وفيه ثلاثة أنواع:
النوع الأول: مشكل اللفظ في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي.
النوع الثاني: مشكل المعنى في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي
النوع الثالث: مشكل الإعراب في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي
النوع الأول: مشكل اللفظ في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي.

قال الخليل: "الغريب الغامض من الكلام"[3]، وهناك آيات وردت فيها كلمات من هذا النوع الذي نبه عليها الإمام الآلوسي في تفسيره ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى **{وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}** [سورة هود: 45]. "وقال العز بن عبد السلام في أماليه: "إن هذا ونحوه من (أرحم الراحمين) و(أحسن الخالقين) مشكل لأن أفعل لا يضاف إلا إلى جنسه، وهنا ليس كذلك لأن الخلق من الله سبحانه بمعنى الإيجاد، ومن غيره بمعنى الكسب، وهما متباينان، على الوجه المشهور من مذهب الأشاعرة"[4]،

وقال أيضا: "**{وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}** لأنك أعلمهم وأعدلهم، وقد ذكر أنه إذا بنى أفعل من الشيء الممتنع من التفضيل والزيادة يعتبر فيما يناسب معناه معنى الممتنع"[5].

ونقل الإمام الآلوسي جواب الإمام الآمدي وغيره على الإشكال فقال: " وأجاب الآمدي بأنه بمعنى أعظم من يدعي بهذا الاسم، واستشكل: بأن فيه جعل التفاضل في غير ما وضع اللفظ بإزائه، وهو يناسب مذهب المعتزلة فافهم، وقيل: المعنى هنا أنك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكم كالدارع من الدرع، واعترض عليه بأن الباب ليس بقياسي وأنه لم يسمع حاكم بمعنى حكيم، وأنه لا يبنى منه أفعل إذا لأنه ليس جاريا على الفعل لا يقال: ألبن وأتمر من فلان إذا لا فعل بذلك المعنى، والجواب بأنه قد كثر في كلامهم فجوز ... وتعقب بأن للحكمة فعلا ثلاثيا وهو حكم،

(1) المصدر السابق، (31/1). (221/16).
(2) المصدر السابق، (9/3 – 10).
(3) العين، الخليل، (411/4).
(4) روح المعاني، (266/6).
(5) المصدر السابق، (266/6).

ISSN : 2410-1818

وأفعل من الثلاثي مقيس، وأيضا سمع احتنك الجراد وألبن وأتمر فغايته أن يكون من غير الثلاثي ولا يخفى ما فيه، ومنهم من فسره على هذا بأعلمهم بالحكمة كقولهم: آبل من أبل بمعنى أعلم وأحذق بأمر الإبل، وأيا ما كان فهذا النداء منه عليه السلام يقطر منه الاستعطاف، وجميل التوسل إلى من عهده منعما مفضلا في شأنه أولا وآخرا وهو على طريقة دعاء أيوب عليه السلام **{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }** [الأنبياء: **83**] فيكون ذلك قبل الغرق"[1].

النوع الثاني: مشكل المعنى في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي

مشكل المعنى هو النوع الثاني أنواع الإشكال في القرآن الكريم، ومن أمثلته عند الإمام الآلوسي تفسيره لقوله تعالى: **{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (14)}** [سورة هود: **13 – 14**].

وموضع الشاهد في الآية الكريمة هو تعلق جواب الشرط بفعله في قوله تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** (الأنبياء : **108**).

قال رحمه الله:" وترتيب الأمر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بتعجيزهم واضطرارهم فكأنه قيل: فإن لم يستجيبوا لكم عند التجائكم إليهم بعد ما اضطررتم إلى ذلك وضاقت عليكم الحيل، وعيت بكم العلل فاعلموا إلخ، أو من حيث إن من يدعونهم إلى المعارضة أقوى منهم في اعتقادهم، فإذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم، وإن كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسكم يكون عجزهم أظهر وأوضح.

وبمجموع ما ذكرنا يظهر أن لا إشكال في الآية، ومما يقتضى منه العجب قول العز بن عبد السلام في أماليه: "إن ترتيب هذا المشروط يعني العلم على ذلك الشرط يعني عدم الاستجابة مشكل، وكذا قوله سبحانه: (أنزل بعلم الله) مشكل أيضا إذ لا تصلح الباء للسببية، إذ ليس العلم سببا في إنزاله، ولا للمصاحبة إذ العلم لا يصحبه في إنزاله، وأن الجواب أنه ليس المراد بالعلم إلا علمنا نحن"[2].

وقال الإمام الآلوسي موضحا لمحل الإشكال في الآية الكريمة: "(**فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ**) الخطاب للمأمورين بدعاء من استطاعوا، ... والمظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه، وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه، فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أي: ما أنزل إلا ملتبسا بعلمه تعالى، لا بعلم غيره على ما تقتضيه

(1) المصدر السابق، (266/6).
(2) روح المعاني، (223/6 – 224).

ISSN : 2410-1818

كلمة أنما فإنها تفيد الحصر كالمكسورة على الصحيح... وقيل: ذاك لأن نفي العلم بالشيء يستلزم نفي القدرة لأنه لا يقدر أحد على ما لا يعلم، والجملة الشرطية داخلة في حيز القول، وإيراد كلمة الشك (إن) مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة من يدعونه تهكم بهم، وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل"[1].

وذكر الإمام الآلوسي الإشكال الذي استشكله العز بن عبد السلام، وتعقبه بأنه اشكال غير وارد على ظاهر نظم الآية الكريمة فقال: "ومما يقتضى منه العجب قول العز بن عبد السلام في أماليه: "إن ترتيب هذا المشروط يعني العلم على ذلك الشرط يعني عدم الاستجابة مشكل، وكذا قوله سبحانه: (أنزل بعلم الله) مشكل أيضا إذ لا تصلح الباء للسببية، إذ ليس العلم سببا في إنزاله، ولا للمصاحبة إذ العلم لا يصحبه في إنزاله""[2].

خامسا: دلائل وجود الإشكال عند الإمام الآلوسي في الآية الكريمة:

"ومما يقتضى منه العجب قول العز بن عبد السلام في أماليه: "إن ترتيب هذا المشروط يعني العلم على ذلك الشرط يعني عدم الاستجابة مشكل، وكذا قوله سبحانه: **{فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللّهِ}** مشكل أيضا إذ لا تصلح الباء للسببية، إذ ليس العلم سببا في إنزاله، ولا للمصاحبة إذ العلم لا يصحبه في إنزاله""[3].

النوع الثالث: مشكل الإعراب في الآية القرآنية الكريمة عند الإمام الألوسي

المقصود من هذا النوع أن تأتي الآية القرآنية على غير المشهور من قواعد اللسان العربي، ومن الأمثلة على هذا النوع تفسيره لقوله تعالى **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}** [سورة النساء: ١].

ذكر رحمه الله طعن الطاعنين من نحاة البصرة كالمبرد وغيره لقراءة حمزة التي لا تجري على أصول مذهبهم، لأنهم يجيزون عطف الإسم الظاهر"الأرحام" على الضمير مع حرف الجر هو الباء، ولكنها جارية على قواعد النحو الكوفي[4]، "وقرأ حمزة بالجر، وخرجت في المشهور على العطف على الضمير المجرور، وضعف ذلك أكثر النحويين بأن الضمير المجرور كبعض الكلمة لشدة اتصاله بها

(1) المصدر السابق، (223/6).
(2) روح المعاني، (223/6).
(3) المصدر السابق، (223/6).
(4) المصدر السابق، (395/2).

ISSN : 2410-1818

فكما لا يعطف على جزء الكلمة لا يعطف عليه"[1].

ذكر الإمام الآلوسي أن أول من شنع على قراءة حمزة، أي قراءة الجر، هو أبو العباس المبرد حتى قال: لا تحل القراءة بها، وتبعه في ذلك جماعة منهم ابن عطية، وزعم أنه يردها وجهان: أحدهما" أن ذكر أن الأرحام مما يتساءل بها لا معنى له في الحض على تقوى الله تعالى، ولا فائدة فيها أكثر من الاخبار بأن الأرحام يتساءل بها، وهذا مما يغض من الفصاحة، والثاني: أن في ذكرها على ذلك تقرير التساؤل بها، والقسم بحرمتها، والحديث الصحيح يرد ذلك، فقد أخرج الشيخان عنه ﷺ: (**من كان حالفا فليحلف بالله تعالى أو ليصمت**)[2].

ذكر الإمام الآلوسي ما كانت عليه العرب من السؤال بالرحم، وأن حمزه من الأئمة الكبار ولا يمكن أن تكون قراءته المتواترة مخالفة لقواعد اللسان العربي، وقد خرجت قراءته بشواهد عديدة من الكلام العربي شعرا ونثرا[3].

وقد وقف الآلوسي موقف الذاب عن القراءة المتواترة، فأحال في كلامه إلى كلام أبي حيان وأنه قد أطال في المسألة، والآلوسي ممن يجزم بصحة قراءة حمزه، فقال: "وقد أطال أبو حيان في البحر الكلام في الرد عليهم، وادعى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح، بل الصحيح ما ذهب اليه الكوفيون من الجواز، وورد ذلك في لسان العرب نثرا ونظما، وإلى ذلك ذهب ابن مالك"[4].

المطلب الثالث: طريقة الإمام الآلوسي في إيراد الإشكال ودفعه.

بعد تتبع طريقة الإمام الآلوسي في التعامل مع مشكل القرآن الكريم في تفسيره، يمكن وصفها بما هو آت:

أولا : يصرح الإمام الآلوسي بذكر المشكل ودفعه، ومثاله كما في قوله تعالى: **{يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}** [سورة البقرة: **٩**] "أصل الخدع بفتح الخاء وكسرها الإخفاء والإيهام، وقيل: بالكسر اسم مصدر، ومنه المخدع للخزانة، والأخدعان لعرقين خفيين في موضع المحجمة، يصدر من كل واحد من الله ومن المؤمنين ومن المنافقين فعل يتعلق بالآخر، وظاهر

(1) المصدر السابق، (395/2).
(2) المصدر السابق، (395/2). رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: كيف يستحلف، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم (2679) (180/3). ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، برقم (1646) (1267/3).
(3) روح المعاني، (395/2).
(4) المصدر السابق، (395/2). انظر، البحر المحيط، أبو حيان، (497/3 . 499).

ISSN : 2410-1818

هذا مشكل لأن الله سبحانه لا يخدع ولا يخدع، أما على التحقيق فلأنه غني عن كل نيل وإصابة واستجرار منفعة لنفسه وهو أيضا متعال على العمل واستحضار المقدمات، ولأنه أجلّ عن أن يحوم حول سرادقات جلاله نقص الانفعال وخفاء معلوم ما عليه، وأما على ما ذكره السيد فلأنه جل شأنه أجلّ من أن تخفى عليه خافية، أو يصيبه مكروه، فكيف يمكن للمنافقين أن يخدعوه ويوقعوا في علمه خلاف ما يريدون من المكروه ويصيبونه به، مع أنهم لكونهم من أهل الكتاب عالمون باستحالة ذلك، والعاقل لا يقصد ما تحقق لديه امتناعه، وأما أنه لا يخدع فلأنه وإن جاز عندنا أن يوقع سبحانه في أوهام المنافقين خلاف ما يريده من المكاره ليغتروا، ثم يصيبهم به لكن يمتنع أن ينسب إليه لما يوهمه من أنه إنما يكون عن عجز عن المكافحة وإظهار المكتوم لأنه المعهود منه في الإطلاق..." [(1)].

ثانيا: يصرح الإمام الآلوسي بذكر مشكل القراءات القرآنية المتواترة، ثم يفصل في الرد على هذا الإيراد، ومثاله كما في قوله تعالى: **{قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى}** [سورة طه: ٦٣] **قال ﷺ:** "... واستشكلت هذه القراءة حتى قيل: إنها لحن وخطأ بناء على ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن عن هشام بن عروة عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها ... وقد خرجت هذه القراءة على وجوه...وابن الأنباري جنح إلى تضعيف الروايات في هذا الباب ومعارضتها بروايات أخر عن ابن عباس. وغيره تدل على ثبوت الأحرف التي قيل فيها ما قيل في القراءة... (ثم بين ما يرجحه في بيان هذا الاشكال) فقال: والذي أجنح أنا إليه، والعاصم هو الله تعالى تضعيف جميع ما ورد مما فيه طعن بالمتواتر، ولم يقبل تأويلا ينشرح له الصدر ويقبله الذوق، وإن صححه من صححه. والطعن في الرواة أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن العظيم الذي وصل إلينا بالتواتر من النبي ﷺ ولم يألوا جهدا في إتقانه وحفظه"[(2)].

ثالثا: يصرح الإمام الآلوسي بذكر الإشكال المنقول عن أحد المفسرين، ثم يفصل في الرد على هذا الإشكال، ومثاله: "قال الواحدي: إن هذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه تفسيرا، **{قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ}** [سورة آل عمران: ٧٣] **رد** وإبطال لما زعموه بأوضح حجة، والمراد من الفضل الإسلام قاله ابن جريج وقال غيره: النبوة وقيل: الحجج التي أوتيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنون، وقيل: نعم الدين والدنيا ويدخل فيه ما يناسب المقام دخولا أوليا **{يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}** [سورة آل عمران: ٧٣] أي: من عباده وَاللَّهُ واسِعٌ رحمة، وقيل: واسع القدرة يفعل ما يشاء عَلِيمٌ بمصالح العبادة، وقيل: يعلم حيث يجعل رسالته يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ قال الحسن: هي النبوة، والباء داخلة

(1) بيان مشكل الآثار، (148/1).
(2) روح المعاني، (534/8 –535). انظر، الكشاف، الزمخشري، (72/3 – 73).

ISSN : 2410-1818

على المقصور وتدخل على المقصور عليه"[1].

رابعا: يصرح الإمام الآلوسي بذكر الإشكال المذكور في تعارض الآية مع الحديث، ثم يفصل في الرد على هذا الإشكال، ومثاله كما في قوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [سورة آل عمران: ١٦١] فأورد الأقوال والآثار عن ابي هريرة وغيرة ثم بين جواز ورودها لقدرة الله وسعة قوته فقال: "وقد ذكر غير واحد أنه لا يبعد ظهور الأعمال من الطاعات والمعاصي بصور تناسبها، فحينئذ يمكن أن يقال: إن معصية كل غال تظهر يوم القيامة في صورة غلوله فيأتي بها هناك، وعليه تكون الأخبار على ظاهرها من غير حاجة إلى ارتكاب التمثيل، وجواب أبي هريرة لا يأباه، وإلقاؤه في النار أيضا غير مشكل وأهل الظاهر لعلهم يقولون: إنه يلقى من غير تعذيب، وبتقديره لا محذور أيضا فيه لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء"[2].

خامسا: يصرح الإمام الآلوسي بذكر حديث يفسر الآية المذكورة، ثم يذكر إشكالا في تطبيق التفسير على الواقع فيذكر محترزات التطبيق لهذه الآية، وبذكر أقوال للمفسرين وبيان المعنى السديد لها، ومثاله في قوله تعالى: **{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}** [سورة الأعراف: **١٩٩**], "أخرج ابن مردويه عن جابر نحو ذلك، ولعل زبدة الحديث مفسرة لزبدة الآية، وإلا فالتطبيق مشكل كما لا يخفى. وتكلف القطب لتطبيق ألفاظه على ألفاظها، وفيه خفاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالعفو ما عفي من أموال الناس، أي: خذ أي شيء أتوك به وكان هذا قبل فرض الزكاة، وقيل: العفو ما فضل عن النفقة من المال، وبذلك فسره الجوهري وإليه ذهب السدي ... وقال عطاء: المراد بالعرف كلمة لا إله إلا الله، وهو تخصيص من غير داع وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ أي: ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وأغض بما يسوءك منهم. وعن السدي أن هذا أمر بالكف عن القتال ثم نسخ بآيته، ولا ضرورة إلى دعوى النسخ في الآية كما لا يخفى على المتدبر، وقد ذكر غير واحد أنه ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية. وزبدتها كما قالوا تحري حسن المعاشرة مع الناس وتوخي بذل المجهود في الإحسان إليهم والمداراة منهم والإغضاء عن مساويهم، وجعلوا نحو ذلك زبدة الخبر إلا أن القرآن مادته عامة ومادته خاصة، وقد علم كل أناس مشربهم، ولا يخفى حسن موقع هذا الأمر بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق حمله، وإذا قيل: بأن الجاهلين موضوع موضع ضمير أولئك المشركين حيث إن الكلام فيهم تسجيلا عليهم بعدم الارعواء وإقناطا كليا منهم التأمت أطراف الكلام غاية الالتئام" [3].

(1) المصدر السابق، (194/2).
(2) روح المعاني، (322/2).
(3) المصدر السابق، (137/5).

ISSN : 2410-1818

والخلاصة أن الامام ابا الثناء الآلوسي قد برع أيما براعة في بيان مشكل القرآن الكريم ومسالك دفعه، مما يجعل القارئ يقف أمام تفسيره متعجبا من أسلوبه وحبك عباراته وطريقة تأليفه, ومن أجلى تلك المعالم المنهجية في تفسيره؛ مسالك تعامله مع الإشكالات التي يذكرها إيرادا ودفعا.

فيأتي بما يحل العقد، ويبين الغامض، ويفصل بين المتشابهات، فيبين الصحيح من السقيم، ويثبت القول الصائب بدليله.

المبحث الثاني: مشكل القرآن الكريم عند الإمام ابي الثناء الآلوسي في تفسيره لسورة الرحمن (دراسة تطبيقية).

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الإشكال في تقديم تعليم القرآن الكريم على خلق الإنسان وبيانه.

أولا: بين يدي السورة

قدم الإمام الآلوسي مقدمة مهمة بين يدي تفسيره لسورة الرحمن، فذكر اسمها أنها سورة الرحمن، وعروس القرآن، وأنها مكية على القول الصحيح، وعدد آياتها ثمان وسبعون آية في الكوفي والشامي، وسبع وسبعون في الحجازي، وست وسبعون في البصري، وذكر وجه اتصالها ومناسبتها لسورة القمر التي قبلها، وبين المحور الموضوعي لسورة الرحمن، "فعدد سبحانه في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية، والدنيوية، والأنفسية، والآفاقية، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها وهذا التكرار أحلى من السكر إذا تكرر"[(1)].

كما ذكر إشكالا يتعلق بذكر قوله تعالى{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إحدى وثلاثين مرة، وسيأتي الجواب عليه فقال: "ولا يرد على ما ذكره أن هذه الآية قد ذكرت بعد ما ليس نعمة لما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله، وقسم في الإتقان التكرار إلى أقسام وذكر أن منه ما هو لتعدد بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الأول، ثم قال (والمراد السيوطي): وهذا القسم يسمى بالترديد، وجعل منه قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فإنهما وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثة ولو كان الجميع عائدا على شيء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لا يزيد عليها كما قال ابن عبد السلام وغيره وهو حسن إلا أنه نظر في إطلاق قوله: إن

(1) روح المعاني، (97/27). انظر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (139/19). انظر، مفاتيح الغيب، الرازي، (335/29).

ISSN : 2410-1818

التأكيد الخ بأن ذلك في التأكيد الذي تابع أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمنع وإن لزم منه التأكيد فافهم"[1].

من المعلوم المستقر أهمية باب التقديم والتأخير في البيان العربي، والبيان القرآني، فالتقديم له أسباب ودواع توجب المصير إليه، فلما بنيت سورة الرحمن على تعداد النعم، بدأ سبحانه من النعم بتعليم القرآن فقال عز قائل: **{الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2)}** (الرحمن: ١ – 2) لأنه أعظم النعم شانا، وأرفعها مكانا، كيف لا وهو مداره للسعادة الدينية، والدنيوية، وعيار على الكتب السماوية، ما من مرصد ترنوا إليه أحداق الأنام إلا وهو منشؤه ومناطه، ولا مقصد تمتد نحوه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه، ونصبه على أنه مفعول ثان لعلم، ومفعوله الأول محذوف لدلالة المعنى عليه، أي: علم الإنسان القرآن، وهذا المفعول هو الذي كان فاعلا قبل نقل فعل الثاني إلى فعل المضعف"[2].

وقد أجاب الإمام الآلوسي عن هذا الإشكال بجواب دقيق يلتئم مع أفعال الله الحكيمة، والمقصد الجليل لسورة الرحمن فقال: "ثم أتبع سبحانه نعمة تعليم القرآن بخلق الإنسان فقال تعالى: **{خَلَقَ الْإِنْسَانَ}** الرحمن: ٣ لأن أصل النعم عليه وإنما قدم ما قدم منها لأنه أعظمها، وقيل: لأنه مشير إلى الغاية من خلق الإنسان وهو كماله في قوة العلم، والغاية متقدمة على ذي الغاية ذهنا، وإن كان الأمر بالعكس خارجا، والمراد بالإنسان الجنس، وبخلقه إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة، ثم أتبع عز و جل ذلك بنعمة تعليم البيان فقال سبحانه: **{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}** الرحمن: ٤ لأن البيان هو الذي به يتمكن عادة من تعلم القرآن، المراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير"[3].

والحاصل من الجواب أن تقديم تعليم القرآن على خلق الإنسان، لأنه أعظم النعم وأجلها، ولأن تعليم القرآن هو الغاية من الخلق، والغاية متقدمه في العلم على صاحب الغاية، ولما كانت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم على الإطلاق، لا جرم بدأت بخلق الإنسان أولا، وتعليم الإنسان ثانيا،**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)}** (العلق: ١ – ٥).

(1) المصدر السابق، (97/27 – 98).
(2) روح المعاني، (98/27). انظر، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (230/27 – 231).

(3) المصدر السابق، (98/27 – 99). انظر، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (223/5).

ISSN : 2410-1818

فالوحي والوجود دائرة واحدة لا يدرى قبيلها من دبيرها، فبأيهما بدأت وصلت إلى الحق إذا صدقت النية.

المطلب الثاني: الإشكال في إثبات معنى السجود للنجم والشجر وبيانه.

أصل السجود التطامن، والتذلل، وقد أسند السجود في القرآن الكريم للإنسان، والحيوانات، والنباتات، والجمادات، بل لمن ما في السموات والأرض[1]، فالسجود نوعان: اختياري وهو للمكلفين، وتسخيري لغير المكلفين.

أشار الإمام الآلوسي إلى اختلاف المفسرين في تحديد المراد من اسم النجم في الآية الكريمة، أهو النجم السماوي المضئ أم النجم الأرضي (وهو ما لا ساق له من النباتات)؟ ورجح أنه النجم الأرضي، ورشحه بأنه قول جمهور المفسرين، قال رحمه الله: **{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}** (الرحمن: ٦)

"والنجم والشجر يسجدان

فإن المعطوف على الخبر خبر، والمراد بالنجم النبات الذي ينجم، أي: يظهر ويطلع من الأرض، ولا ساق له، وبالشجر النبات الذي له ساق، وهو المروي عن ابن عباس وابن جبير وأبي رزين"[2].

ثم نبه إلى الإشكال الوارد من الإخبار عن النجم والشجر بالسجود، وحقيقة السجود في اللغة التطامن، والانحناء، والتذلل، فقال: "والمراد بسجودهما انقيادهما له تعالى فيما يريد بهما طبعا، شبه جريهما على مقتضى طبيعتهما بانقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له، ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه، فهناك استعارة مصرحة تبعية، وقال مجاهد وقتادة والحسن النجم نجم السماء وسجوده الغروب ونحوه، وسجود الشجر بالظل، واستداره عند مجاهد والحسن، وفي رواية أخرى عن مجاهد أن سجودهما عبارة عن انقيادهما لما يريد سبحانه بهما طبعا، والجمهور على تفسير النجم بما سمعت أولا، قيل لأن اقترانه بالشجر يدل عليه، وإن كان تقدم الشمس والقمر يتوهم منه أنه بمعناه المعروف، ففيه تورية ظاهرة، وإخلاء الجمل الثانية والثالثة والرابعة عن العطف لورودها على نهج التعديد، مع الإشارة إلى أن كلاما تضمنته مستقلة تقتضي الشكر وقصروا في أدائه، ولو عطفت مع شدة اتصالها وتناسبها ربما توهم أن الكل نعمة واحدة، وتوسيط العاطف بين الرابعة والخامسة رعاية لتناسبهما من حيث التقابل، لما أن الشمس والقمر علويان، والنجم والشجر سفليان، ومن حيث أن كلا من حال العلويين وحال السفليين

(1) انظر المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (س ج د)، (396/1 – 397).
(2) روح المعاني، (100/27).

ISSN : 2410-1818

من باب الإنقياد لأمر الله عز و جل"[1].

بحمل الكلام على سبيل الاتساع في العبارة، استطاع الآلوسي دفع هذا الإشكال المتوهم، فياب المجازات، والاستعارات، والتشبيهات، والكنايات واسع.

المطلب الثالث: الإشكال في إثبات خلق الإنسان من صلصال كالفخار وبيانه.

ذكر الإمام الآلوسي أن أطوار ومراحل خلق الإنسان كانت على مراتب، وكلها تعود إلى جوهر واحد وهو التراب، فلا تعارض بين الآيات القرآنية التي بينت أطوار خلقه المختلفة، كما لا تعارض بين مراحل خلق الجنين، فخلق آدم من تراب، ووضع عليه الماء فصار طيما، فترك حتى صار حمأ مسنونا، وظل تحت الشمس حتى صار صلصالا كالفخار، ولم تمس النار طينته، كما أن الجنين يتكون من نطفة، ثم يكون علقة، ثم يكون مضغة لحم، ثم عظما، ثم يكسى الرحمن العظام لحما، ثم تنفخ فيه الروح، فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال رحمه الله: **{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16)}** (الرحمن: ١٤ – ١٦) تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين، والمراد **{الْإِنْسَانَ}** آدم عند الجمهور، وقيل: الجنس، وساغ ذلك لأن أباهم مخلوق مما ذكر، والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة، وأصله كما قال الراغب تردد الصوت من الشيء اليابس، ومنه قيل: صل المسمار، وقيل: هو المنتن من الطين من قولهم: صل اللحم وكأن أصله صلال، فقلبت إحدىاللامين صادا، ويبعد ذلك قوله سبحانه : كالفخار، وهو الخذف أعني ما أحرق من الطين حتى تحجر، وسمي بذلك لصوته إذا نقر كأنه تصور بصورة من يكثر التفاخر، وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا، ثم حما مسنونا، ثم صلصالا، فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدهما وبين ما نطق بأحد الآخرين"[2].

المطلب الرابع: الإشكال في ذكر قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إحدى وثلاثين مرة في السورة وبيانه.

ذكر الإمام الآلوسي في قوله تعالى: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**

إشكالين وأجاد في الجواب عليهما، الإشكال الأول: هو ذكر الآية الكريمة إحدى وثلاثين مرة في السورة الكريمة، وهذ خلاف المعهود من باب التوكيد اللفظي في لسان العرب، الإشكال الثاني: أن هذه الآية الكريمة ذكرت عقيب أمور لا تعد من النعم.

(1) المصدر السابق، (100/27). انظر، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (178/9).
(2) روح المعاني، (105/27).

ISSN : 2410-1818

قال رحمه الله في الجواب عن الإشكال الأول: " والأولى عندي أن يعتبر في وجه المناسبة أيضا ما في (الإرشاد) وهو أنه تعالى لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب نقم الله عز و جل، وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس، واتعاظهم ونعي عليهم إعراضهم عن ذلك، عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية، والدنيوية، والأنفسية، والآفاقية، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها، وهذا التكرار أحلى من السكر إذا تكرر، وفي (الدرر والغرر) لعلم الهدى السيد المرتضي التكرار في سورة الرحمن إنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها وبخ على التكذيب بها، كما يقول الرجل لغيره: ألم أحسن إليك بأن خولتك في الأموال، ألم أحسن إليك بأن فعلت بك كذا وكذا، فيحسن فيه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهو كثير في كلام العرب واشعارهم كقول مهلهل يرثي كليبا... ثم أنشد قصائد أخرى على هذا النمط، ولولا خوف الملل لأوردتها، وقسم في (الإتقان) التكرار إلى أقسام وذكر أن منه ما هو لتعدد، بأن يكون المكرر ثانيا متعلقابغير ما تعلق به الأول، ثم قال وهذا القسم يسمى (بالترديد)، وجعل منه قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} فإنهما وإن تكررت إحدى وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائدا على شيء واحد لما زاد على ثلاثة، لأن التأكيد لا يزيد عليها، كما قال ابن عبد السلام وغيره، وهو حسن إلا أنه نظر في إطلاق قوله: إن التأكيد الخ بأن ذلك في التأكيد الذي تابع أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمنع وإن لزم منه التأكيد فافهم"[(1)].

ومن هذا الجواب يتبين لي عدد من الموارد التي أفاد منها الإمام الآلوسي وهي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لشيخ الإسلام أبي السعود العمادي، والدرر والغرر، لعلم الدين السخاوي، والإتقان في علوم القرآن، للحافظ السيوطي، ومصالح الأنام، للعز بن عبد السلام.

وأما الجواب عن الإشكال الثاني فمداره على ذكر الآية الكريمة سبع مرات عقيب أمور لا تعد من قبيل النعم، لأنها في سياق الكلام عن القيامة وأهوالها، قال رحمه الله: "ولا يرد على ما ذكره أن هذه الآية قد ذكرت بعد ما ليس نعمة لما ستعلمه إن شاء الله تعالى في محله"[(2)].

قرر رحمه الله: إن التنبيه، والتحذير، والتهديد، والوعيد لما سيقع على مستحقيه يوم القيامة من جملة الألطاف، "فإن التهديد لطف، والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء، والأنتقام من الكفار من عداد الآلاء"[(3)].

(1) روح المعاني، (97/27 – 98). انظر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (22/22).
(2) المصدر السابق، (97/27).
(3) المصدر السابق، (113/27).

ISSN : 2410-1818

المطلب الخامس: الإشكال في تثنية المشرقين والمغربين في السورة وبيانه.

ذكر الله تعالى المشرق والمغرب بالإفراد في سورة المزمل، وذكرهما بالتثنية في سورة الرحمنن وذكرهما بالجمع في سورة المعارج، وهذه الصيغ الثلاث: الإفراد، والتثنية، الجمع، ليس بينها تناف، قال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} (المزمل: ٩)، وقال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} (الرحمن: ١٧)، وقال تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} (المعارج: ٤٠).

ومناسبة كل من الصيغ الثلاث للسور الواردة فيها ظاهرة للمتأمل، فسورة المزمل بنيت على الإخلاص والتوجه للواحد الأحد جل شأنه، فناسبها أسلوب الإفرادن وأما سورة الرحمن فبنيت على التثنية من خطاب الثقلين، والنعي عليهما بمقابلة النعم بالتكذيب، فناسبها أسلوب التثنية، وأما سورة المعارج فبنيت على بيان قدرة الله تعالى، كما هو ظاهر من اسم المعارج، فناسبها أسلوب الجمع.

قال الإمام الآلوسي رحمه الله: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} {رَبُّ} (الرحمن :17) خبر مبتدأ محذوف أي: هو رب الخ، أو الذي فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرقي الشمس صيفا وشتاء، او مغربيها كذلك، على ما أخرجه جماعة عن ابن عباس، وروي عن مجاهد، وقتادة، وعكرمة، أن المشرقين مشرقا الشتاء ومشرق الصيف، و المغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف بدون ذكر الشمس، وقيل : المشرقان مشرقا الشمس والقمر، والمغربان مغرباهما، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن المشرقين مشرق الفجر ومشرق الشفق، و المغربين مغرب الشمس ومغرب الشفق، وحكى أبو حيان في المغربين نحو هذا، وفي المشرقين أنهما مطلع الفجر ومطلع الشمس، والمعول ما عليه الأكثرون من مشرقي الشتاء ومغربيهما، ومن قضية ذلك أن يكون سبحانه رب ما بينهما من الموجودات، وقيل: رب مبتدأ، والخبر قوله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} الرحمن: ١٩ وليس بذاك"[1].

المطلب السادس: الإشكال في إسناد الفناء لكل شيء، وإسناد البقاء لوجه الله الكريم وبيانه.

أثبت الله تعالى الموت على كل نفس، والفناء على كل من على الأرض، والهلاك على كل شيء إلا وجه الله الكريم، قال الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (آل عمران: ١٨٥).

وقال تعالى: : {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) } (الرحمن: ٢٦ – ٢٨).

وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

(1) روح المعاني، (106/27).

ISSN : 2410-1818

(القصص: ٨٨).

قال الإمام الآلوسي مجيبا عن الإشكال المثار حول قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28)} (الرحمن: ٢٦ – ٢٨) "مما يتضمنه ما ذكر فإن الفناء باب للبقاء، والحياة الأبدية، والإثابة بالنعمة السرمدية، وقال الطيبي: المراد من الآية السابقة ملزوم معناها، لأنها كناية عن مجيء وقت الجزاء، وهو من أجل النعم، ولذلك خص الجلال والإكرام بالذكر، لأنهما يدلان على الإثابة والعقاب المراد منها تخويف العباد، وتحذيرهم من ارتكاب ما يترتب عليه العقاب، والتحذير من مثل ذلك نعمة، فلذا رتب عليها بالفاء قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) } ، وليس بذاك"[1].

المطلب السابع: الإشكال في نسبة الفراغ لله سبحانه وتعالى وبيانه.

من أصول المعتقد الحق الذي يجزم به المؤمن في الله عز شأنه، أن الله تعالى خالق كل شيء، وأنه خالق الزمان والمكان، وأنه الآن على ما عليه كان سبحانه، فهو الله الواحد الأحد الصمد، لا شريك له، كل يوم هو في شأن، ولا يشغله شأن عن شأن سبحانه، فكيف يسند الفراغ الى الله تعالى؟

وقد أجاد الإمام الآلوسي في الجواب عن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) } (الرحمن: ٣١ – ٣٢) {سَنَفْرُغُ لَكُمْ} الفراغ في اللغة يقتضي سابقة شغل، والفراغ للشيء يقتضي لاحقيته أيضا، والله سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، فجعل انتهاء الشؤون المشار إليها بقوله تعالى : كل يوم هو في شأن، يوم القيامة إلى واحد هو جزاء المكلفين فراغا لهم، على سبيل التمثيل لأن من ترك أشغاله إلى شغل واحد يقال : فرغ له وإليه، فشبه حال هؤلاء وأخذه تعالى في جزائهم فحسب بحال من فرغ له، وجازت الاستعارة التصريحية التبعية في سنفرغ بأن يكون المراد سنأخذ في جزائكم فقط الاشتراك الأخذ في الجزاء فقط، والفراغ عن جميع المهام إلى واحد في أن المعنى به ذلك الواحد، وقيل: المراد التوفر في الانتقام والنكاية، وذلك أن الفراغ للشيء يستعمل في التهديد كثيرا، كأنه فرغ عن كل شيء لأجله، فلم يبقله شغل غيره فيدل على التوفر المذكور وهو كناية في من يصح عليه، ومجاز في غيره كالذي نحن فيه"[2].

(1) روح المعاني، (110/27). انظر، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (165/17).
(2) المصدر السابق، (111/27). انظر، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، (230/6 – 231).

ISSN : 2410-1818

سلك الإمام مسلك المجاز، والاسنعارة، والتشلبه، في بيان المراد من هذا الفعل المنسوب للّه سبحانه، ومعنى قوله

"وهو كناية في من يصح عليه، ومجاز في غيره كالذي نحن فيه"، أن المسلك هنا هو المجاز، وليس الكناية، والفارق بينهما أن المجاز لا يمكن فيه إرادة المعنى الحقيقي، لوجود القرينة المانعة من ذلك، وأما الكناية فيمكن فيها إرادة المعنى الحقيقي كما هو معلوم في محله.

المطلب الثامن: الإشكال في نفي السؤال يوم القيامة للإنس والجن عما اقترفوه وبيانه.

هذا المثال من أشهر أمثلة مشكل القرآن الكريم، التي درج المفسرون والكاتبون في علوم القرآن على التمثيل بها، وقد ذكر هذا المثال الإمام الآلوسي في خطبة تفسيره، وعند موضعه في سور القرآن الكريم.

قال رحمه اللّه تعالى عند تفسيؤه لقوله تعالى: **{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40)}** (الرحمن: ٣٧ – ٤٠).

" لأنهم يعرفون بسيماهم، وهذا في موقف، وما دل على السؤال من نحو قوله تعالى: **{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}** (الحجر: ٩٢) في موقف آخر قاله عكرمة وقتادة، وموقف السؤال على ما قيل: عند الحساب وترك السؤال عند الخروج، من القبور وقال ابن عباس: حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير، وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب، وقيل: المنفي هو السؤال عن الذنب نفسه، والمثبت هو السؤال عن الباعث عليه، وأنت تعلم أن في الآيات ما يدل على السؤال عن نفس الذنب، وحكى الطبرسي عن الرضا رضي اللّه تعالى عنه أن من اعتقد الحق، ثم أذنب ولم يتب عذب في البرزخ، ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه، ولعمري إن الرضا لم يقل ذلك، وحمل الآية عليه ممالا يلتفت إليه بعين الرضا كما لا يخفى"[1].

(1) روح المعاني، (114/27).

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة مع سورة الرحمن جل جلاله في تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، يحسن تسجيل أهم نتائج البحث وتوصياته.

أولا: النتائج: توصل البحث إلى

1. بيان جهود الإمام الآلوسي القيمة في علم مشكل القرآن الكريم, نقلا, وتحريرا, وتوجيهاً, ورداً.
2. الوقوف على منهج الإمام الآلوسي في إيراد الإشكالات ودفعها في سورة الرحمن.
3. الكشف عن بعض موارد ومصادر الإمام الآلوسي في علم مشكل القرآن الكريم.
4. إبراز موقف الإمام الآلوسي في الدفاع عن القراءات القرآنية المتواترة وتوجيهها.
5. التأكيد على موقف الإمام الآلوسي من نقد الأقوال الدخيلة في التفسير، كالتي نقلها عن الطبرسي في مجمع البيان.
6. التحقق من سلامة القرآن الكريم من الاختلافات والتناقضات، وأن هذا من وجوه إعجازه.
7. إظهار نماذج مشكل القرآن الكريم الواردة في سورة الرحمن.

ثانياً: التوصيات:

نوصي طلبة العلم والباحثين في برامج الدراسات العليا مواصلة الجهد في هذا السفر الجليل من النواحي الآتية:

1. منهج الإمام الآلوسي رحمه الله تعالى في الاستفادة من مصادر التفسير وعلوم القرآن الكريم، ومنهجه في الإشارة إليها.
2. أصول التفسير في تفسير روح المعاني في التفسير بالمأثور، والرأي، والإشاري.

ISSN : 2410-1818

قائمة المصادر والمراجع

(1) أعلام العراق الأثري، محمد بهجت، ويتضمن سيرة الإمام الآلوسي الكبير، الطبعة الثانية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2002م.

(2) البحر المحيط، محمد بن حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة: 1420ه.

(3) بدع التفاسير، عبد الله محمد صديق الغماري، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، 1965م.

(4) بيان مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي، بدون دار نشر، ولا تاريخ نشر، تحقيق شعيب الأرنؤط.

(5) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

(6) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 هـ .

(7) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ، 1964م.

(8) جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ. ا

(9) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة الأولى، 1422هـ.

(10) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

(11) شجرة الأنوار، الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، مطبعة الشابندر، بغداد 1325هـ.

(12) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170ه)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(13) غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، مطبعة الشابندر، بغداد، 1327هـ.

ISSN : 2410-1818

(14) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ .

(15) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538ه)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407هـ.

(16) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1422هـ، 2002م.

(17) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

(18) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

(19) المسك الأذفر في نشر مزايا القرنين الثاني عشر والثالث عشر 1272، 1342هـ، محمود شكري الألوسي، تحقيق عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، الدار العربية للموسوعات.

(20) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ابن خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

(21) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

(22) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، اتحاد الكتاب العرب، الطبعة 1423هـ ، 2002م.

(23) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى 1380هـ)، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.

(24) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د.محمد رجب البيومي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، 1